الفصل الثاني

في المعجزة

المبحث الأول

تعريف المعجزة

وهي[1] في الاصطلاح عبارة عن أمر خارق للعادة يظهره[2] الله تعالى بمجرد إرادته على يد مدعي النبوة تصديقا له في دعواه . فيجب أن يكون خارقا للعادة لا يمكن معارضته إذ لا دلالة على الصدق لغيره ، وفعلا لله[3] تعالى إذ لا تصديق بما ليس من قبله ، وفيه نظر ، وأن يظهر على يد مدعي النبوة ليعلم أنه تصديق له . والظاهر أن الظهور على متبعيه كاف[4] في صدقه ، وإلى هذا يشير قول من قال إن

---

(١) انظر أصول الدين للبغدادي: ١٧٠-١٧٤ ، الإرشاد: ١٢٦-١٢٩ ، تبصرة الأدلة: ٤٦٨-٤٨٠ ، أبكار الأفكار: ٤/١٧-٢٦ ، شرح المواقف: ٨/٢٤٦-٢٥٤ ، شرح المقاصد: ٣/٢٧٣-٢٨٠ ، شرح العقائد: ١/١٨٨ ، ١٨٩ ، حاشية الكفوي على حاشية عصام الدين على شرح العقائد: ٢/٨٣ . هذا وقد أفرد ابن تيمية مؤلفات خاصة ـ مثل «كتاب النبوات» و«العقيدة الإصفهانية» و«الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن» - لبيان موقفه الخاص من قضايا النبوات ، خاصة المعجزة ، يشن فيها الهجوم على الأشاعرة ويتبنى كثيرا من أصول المعتزلة ناسبا إياها إلى السلف الصالح ـ وهم منها براء ـ كعادته المعروفة .

(٢) أ: ويظهره ، ز: ويظهر ، وما أثبته من «ص» ومما نقله الكليبي عن كلام الخيالي في خير القلائد: ٩٩ .

(٣) ز: فعل الله .

(٤) ز: كان .

كرامات الأولياء[1] معجزات للأنبياء فليتدبر . وأن يوافق[2] لدعواه ، وإلا لم يدل على صدقه ، وأن لا يكون قبل الدعوى إذ لا يعقل التصديق قبلها وفيه تأمل .

* * *

المبحث الثاني

النبوة والمعجزة عند الفلاسفة

وقالت الفلاسفة لا يمكن ظهور المعجزة[3] على يد كل أحد بل لابد لإظهارها من استعداد المحل ، وتنقسم على ثلاثة أقسام ؛ فعل وترك وقول . أما الفعل فكإحداث رياح وزلازل وخرق وغرق[4] وإهلاك أشخاص ظالمة وتخريب بلدان فاسدة وانفجار الينابيع من الأحجار والأصابيع ، ولا بعد في ذلك ، فإن علاقة النفس مع البدن ليست بالحلول والانطباع ؛ بل بالتدبير والتصرف مع أنها[5] تؤثر فيه بتصوراتها وإراداتها ، فيجوز أن يحصل لبعض النفوس البشرية من القوة بحيث ينقاد له[6] هيولي عالم العناصر انقياد بدنه لنفسه على وجوه شتى وأنحاء مختلفة ، فيتصرف في ذلك تصرفها فيه .

---

(١) الأولياء: جمع «ولي» ، هو ـ كما عرفه السعد في شرح العقائد: ١٩٤/١ـ «العارف بالله تعالى وصفاته حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات ، المجتنب عن المعاصي ، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات» ، والولاية نوعان ؛ ولاية عامة مكتسبة : تتمثل في امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، وولاية غير مكتسبة :وهي العطايا الربانية كالعلم اللدني ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك كما حققه الإمام الباجوري في شرح الجوهرة: ٢١١ .

(٢) أ: وأن لا يوافق . (٣) ز: بنون (المعجزة) . (٤) ز: حرق .

(٥) أ ، ز: أنه ، وما أثبته من «م» و«ص».

(٦) أ ، ز: معادله ، وما أثبته من «ص» .

وأما الترك فكالإمساك عن الأكل والشرب برهة من الزمان بحيث لا يتعارف مثله وذلك لانجذاب نفسه عن العلائق البدنية والكدورات الطبيعية لصفائها في أصل فطرتها إلى عالم القدس فيشتغل عن تحليل المواد البدنية فلا يحتاج إلى البول ، وقد يحصل قريب من ذلك لبعض المتجردين لتصفيتهم البواطن عن الكدورات البشرية بضرب من المجاهدة وأنواع الرياضة ، وهذا كما في المرضى ، فإن نفوسهم لاشتغالها بمقاومة المرض وتحليل المواد الرديئة تشتغل عن تحليل المواد المحمودة فيمسك عن القوت[1] ، بل هو أولى في المتوجه المنخرط في سلك الملأ الأعلى لتحلل رطوبات المرض بسبب الحرارة الغريزية المسماة بسوء المزاج وتحقق السكون البدني في المتوجه بسبب ترك القوى[2] أفاعيلها عند متابعتها النفس بل لما يوجد فيه من اللذات الروحانية لتحليه بالأنوار القدسية الربانية ما يقوم مقام الغذاء . وأشار إليه خاتم الأنبياء «لست كأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»[3] .

وأما القول فكالإخبار عن المغيبات الماضية والآتية بحيث لا يهتدي إليها عقول العقلاء وفحول الأذكياء ، وقد يشاهد حينئذ الملائكة مصورة بصور المحسوسات ويسمع كلامهم وحيا[4] من الله تعالى كما يشاهد[5] النائم في نومه أشخاصا يكلمونه بكلام دال على معان متحققة في الواقع . فالنبي عندهم من اجتمع فيه هذه الخواص الثلاثة بها يمتاز عن الغير .

* * *

(١) ز: الفوات ، أول ق ٤٠ في أ .

(٢) أول ق ٤٦ في ز .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الصوم ، ما جاء في كراهية الوصال ، عن أنس:١٤٨/٣ ، رقم (٧٧٨) وأحمد في مسنده عن أبي هريرة: ٢٢٨/٢ ، رقم (٧١٦٢) .

(٤) أ: وحياء .

(٥) ز: نشاهد .